موقف القرآن الكريم
من عادات العرب في الجاهلية
وأثر ذلك في التفسير

دراسة وتقديم

د / صالح بن سعود السعود

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية ؛ كلية التربية

جامعة حائل – حائل

١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

جوال : ٠٥٠٣١٧٠٧٠٨

إيميل : **S-S-S1388@hotmail.com**

ترجمة الباحث :

الاسم : صالح بن سعود السعود، بكالوريوس من كلية المعلمين ١٤١٣ هـ .

ماجستير : الجامعة الإسلامية وعنوان رسالته :"اختيارات ابن محيصن والأعمش والحسن واليزيدي –جمعاً ودراسة ١٤٢٢ هـ .

دكتوراة : جامعة الإمام وعنوان رسالته :علوم القرآن عند ابن الأنباري – جمعاً ودراسة – ١٤٣٠ هـ .

يعمل : أستاذا مساعدا بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة حائل.

ملخص البحث

الموضوع يفصح عما تحته، إذ هو دراسة تفسيرية موضوعية تدور حول عادات كانت في العرب، تحدث عنها القرآن ووقف منها، طبيباً معالجاً، وناصحاً أميناً، وحكيماً عليماً، وضع الأمور في نصابها، فأقر ما يستحق الإقرار لعموم نفعه، وطيب ثمره، وشمول فضله، وهذب وسدد ما يحتاج إلى تهذيب وتسديد، ليرقى بعد ذلك إلى مصاف القبول، ويكون بعد تصفيته كالبن خالص سائغ للشاربين، وأبطل ما عم فساده، وطم خرابه، وادلهم خطبه، وذلك من رحمة الله بعباده، فهو وحده الذي يعلم السر وما أخفى .

وهو محاولة لإيصال الصورة الواضحة وبعبارة سلسة بسيطة، ومن ثم أثره البالغ في فهم هذا الكتاب العزيز، لحصول السعادة المنشودة في الدارين . وقد وسمته : بـ(موقف القرآن من عادات العرب في الجاهلية وأثر ذلك في التفسير) .

الكلمات الإفتتاحية :قرآن، عادة، عرف، جاهلية، عرب، معالجة .

Research Summary

This thread discloses what is underlined its own, as it is an interpretive objective study revolves around some habits were practiced among Arabs. The Holy Qura'an talked about those habits. Thus, the Holy Qura'an played several roles – towards those habits – as a healing doctor, an honest adviser, and a wise Knower. It also put things in a perspective way. In addition, it endorsed what it's worth recognizing because its pan-usefulness, fruitfulness, inclusive graciousness. It also touched up and corrected whatever needs correction and rightness. It is to reach up the highest layers of acceptance, and to have it yet filtered and purified such as Milk ready for drinkers, so it invalidated whatever has been corrupted or destructed. Therefore, it is God's mercy towards his slaves-- he is the only ONE who knows all secrets.

It is an attempt to deliver a clear picture with smooth and simple words, and then to understand the impact of this Holy Qura'an in order to get the desired happiness in this life and the Hereafter. Its subject has been indicated as: The Holy Qura'an's Attitude towards Arab Habits in Al-Jaheleyah Era and its impact on the interpretation.

Qur'an, Habit, Tradition, Jahiliyah (Ignorance Era), Arabs, Treatment.

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، أحمده وأثني عليه الخير كله وهو للحمد وللثناء أهل، حمداً متواتراً متتابعاً دائما لا ينفد.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد فإن أولى ما ينبغي أن تصرف فيه نفائس الأوقات، وتبذل فيه أقوى وأعز الطاقات، الاشتغال بتعلم وتعليم الكتاب الله العزيز تلاوةً وفهماً وعملاً ودعوةً، خاصة العلوم الموصلة إلى حكمه، والميسرة لفهمه، والهادية إلى نوره .

وعليه فقد اجتهدت في جمع ما كُتب حول الموضوع من مجموعة من كتب علوم القرآن وغيرها من الفنون الأخرى، مراعياً في ذلك تهيئة العقول علمياً لفهم القرآن، واستنباط الأحكام والآداب منه، وتزويد المتلقي بكثير من العلوم والمعارف المهمة التي تتعلق بالقرآن الكريم .

هذا البحث موجز في ضابط من ضوابط التفسير، بل قل قاعدة " موقف القرآن الكريم من عادات العرب في الجاهلية وأثر ذلك في التفسير "، وهو محاولة لإيصال الصورة الواضحة وبعبارة سلسة بسيطة، ومن ثم أثره البالغ في فهم هذا الكتاب العزيز، لحصول السعادة المنشودة في الدارين .

الموضوع يفصح عما تحته، إذ هو دراسة تفسيرية موضوعية تدور حول عادات كانت في العرب، تحدث عنها القرآن ووقف منها، طبيباً معالجاً، وناصحاً أميناً، وحكيماً عليماً، وضع الأمور في نصابها، فأقر ما يستحق الإقرار لعموم نفعه، وطيب ثمره، وشمول فضله، وهذب وسدد ما يحتاج إلى تهذيب وتسديد، ليرقى بعد ذلك إلى مصاف القبول، ويكون بعد تصفيته كالبن خالص سائغ للشاربين، وأبطل ما عم فساده، وطم خرابه، وادلهم خطبه، وذلك من رحمة الله بعباده، فهو وحده الذي يعلم السر وما أخفى، بل هو العالم سبحانه **چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ** [النحل : ٧٤]

سائلاً الله – عز وجل – التوفيق والسداد والصواب والرشاد في القول والعمل .

مشكلة البحث :

يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية :

مَا مَعْنَى كلمة عادة ؛لغةً، واصطلاحا ؟

ما المقصود بالجاهلية ؟

ما العلاقة بين العادة والعرف ؟

ما أنواع العادات ؟

حدود البحث :

ستقتصر الدراسة في هذا البحث على تناول لفظ العادات، ومعالجة القرآن لتلك العادات .

منهج البحث :

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي للآيات القرآنية التي تحدثت عن العادة أو العادات .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي :

١- نيل شرف الانشغال بعلوم كتاب الله، التي هي من أشرف العلوم وأجلها .

٢- حصول الخيرية التي وعد بها معلم الناس الخير ﷺ .

٣- ندرة موضوعه في المكتبة القرآنية، ومن ثم إثراء المكتبة القرآنية بهذه المادة، لاسيما وأنها بحاجة ماسة لتعريفها لبعض طلبة العلم .

٤- إبراز جهود السلف الصالح في علوم القرآن، ومنهجية تعاملهم معه .

٥- إيضاح مَعْنَى كلمة العادة ؛لغةً، واصطلاحا

٦- إبراز الفرق بين العادة والعرف

٧- معالجة القرآن للعادات

الدراسات السابقة :

هناك مؤلفات ودراسات، ورسائل أُلفت منها الصريح ومنها غير الصريح وله علاقة :

١-النقد التحليلي، د/محمد أحمد الغمراوي، (ت:١٩٧١م) .

٢-الشواهد الشعرية في تفسير الإمام الطبري دراسة أدبية، د/ محمد المالكي ٠

٣-شواهد الشعر في كتاب سيبويه، د/خالد جمعه، (ت:٢٠١٣م) ٠

٤-تحقيق كتاب (معاني القرآن للأخفش)، د/هدى قرّاعة ٠

٥-الاحتجاج بالشعر في اللغة، د/محمد حسن جبل ٠

٦-الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، د/عبدالرحمن الشهري ٠

٧-جدلية القرآن، خليل أحمد خليل ٠

٨-أحوال الأعراب في القرآن وطبائعهم، محمد عزة دروزة ٠

٩-الشخصية العربية الإسلامية، السيرة النبوية، لهشام جعيط ٠

١٠- أيمان العرب، لأبي إسحاق إبراهيم، تحقيق / محي الدين الخطيب ٠

وغيرها كثير.

إِجْرَاءاتُ البَحْث :

اتبعتُ في إجراءات البحث وخطواته ما يلي :

١-قمتُ بقراءة القرآن الكريم عدة مراتٍ، حصَرْتُ فيها المواضع التي ذكر فيها لفظ العادة.

٢-قرأتُ تفسير تلك الآيات المتعلقة بالعادات وما تضمنته من هِدَاياتٍ ودلالاتٍ.

٣-نظرتُ في السنة النبوية وما تناولته فِيما يتعَلَّقُ بالمَوْضوعِ .

٤-قمت بعزو كل آية ورقمها إلى حيث موضعها من القرآن الكريم .

٥-قمت بتخريج الأحاديث التي تمرّ في صلب البحث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بهما ؛وذلك بذكر رقم الحديث فقط.

٦-ذَكَرْتُ في النهاية ما توصل له البحث من نتائج وتوصياتٍ .

٧-ذكرت فهرساً للمصادر والمراجع، وفهرسا آخر لموضوعات البحث .

ثم بعد ذلك المباحث الرئيسيَّة التي تبرز ترابط الموضوع وتكامله ليخرج بالفائدة المرجوَّة وهي كالتالي :

المبحث الأول : أهمية الإلمام بعادات العرب في الجاهلية ٠

المبحث الثاني : تعريف العادات، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف العادات ٠

المطلب الثاني : العلاقة بين العادة والعرف ٠

المطلب الثالث : أقسام العادة ٠

المطلب الرابع : من قواعد العادة ٠

المبحث الثالث : تعريف الجاهلية ٠

المبحث الرابع : معالجة القرآن لعادات العرب في الجاهلية، وأثر ذلك في التفسير ٠

الخاتمة : وفيها : أهم النتائج، والتوصيات ٠

الفهرس : وفيه : ثبت المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات ٠

فإن كان الجمع موفقاً فهذا بفضل الله وحده وتوفيقه، وإن كان فيه خلل أو نقص فهذا من نفسي وأستغفر الله، سائلاً الله ﷻ أن ينفع به جامعه وقارئه إنه جواد كريم ٠ كما اسأله سبحانه أن يُلهمني الرشد والسداد والصواب والتوفيق والإخلاص في الأمر كله، ونعوذ به من فتنة القول ومن فتنة العمل، نعوذ به من أن نضل أو نُضَل أو أن نزل أو نُزَل أو أن نجهل أو يُجهل علينا.

اللهم ارزقنا العلم النافع والعمل الصالح يا رب العالمين ٠

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين٠

التمهيد

من الأمور اللازمة للمفسر حتى يفهم مراد القرآن ويعي مرماه أن يدرك عادات العرب التي نزل القرآن ليتحدث عنها، تلك التي تمثل حياتهم التي تتميز عن حياة من سواهم وتتفرد ببعض الخصائص والسمات التي راعاها القرآن الكريم ووضعها في حسبانه وهو يأمرهم وينهاهم ويعظهم ويرشدهم ويوجههم إلى الصراط المستقيم، فقد كان للعرب مثلاً: عادات وأعراف في علاقة الرجل بالمرأة ونظرته إليها في طفولتها وشبابها ونزل القرآن الكريم يراعي هذه العلاقة وتلك النظرة وأنزل لها الخطاب الوافي الكامل الذي يتناسب مع تلك العادات فعلى سبيل المثال قوله تعالى: وهو يتحدث عن علاقة الأب بولده إن كان أنثي: چ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک چ [النحل : ٥٨-٥٩]، والآية تصور بوضوح وجلاء علاقة العربي بابنته وترصد تلك الخلفية الاجتماعية التي كان يعيشها الإنسان العربي في ذاك الزمان، واقرأ قوله تعالى: چ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے چ [الزخرف : ١٧- ١٨]، والآية الكريمة تصور كذلك طبيعة العربي الذي يجعل لله- تعالى- ما يأباه لنفسه ويجعل له الإناث في الوقت الذي يأبى أن يرضاهن لنفسه وإذا بشر بهن أسود وجهه بل ظل مسوداً وهو كظيم، ومن العادات التي رصدها القرآن الكريم في حياة العرب، كذلك دخولهم من خلف الدار في الأشهر الحرم والتي صورها القرآن الكريم بقوله تعالى : چ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو چ [البقرة : ١٨٩]، ومعرفة عادات العرب تعين على فهم كثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم، فمثلا: قوله تعالى : چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ [التوبة : ٣٧]، فكيف يتسنى لمفسر أن يفهم هذه الآية دون أن يفهم عادات العرب في ذلك، فقد ذكر أهل التفسير أن العرب "كانوا إذا أحرموا الحج أو العمرة من بلادهم جعلوا من أحكام الإحرام ألا يدخل المحرم بيته من بابه ولا يدخل تحت سقف يحول بينه وبين السماء وكان المحرمون إذا أرادوا أخذ شيء من بيوتهم تسنموا على ظهور البيوت واتخذوا نقباً في ظهور البيوت إن كانوا من أهل المدر وإن كانوا من أهل الخيام دخلوا خلف الخيمة" (١)،

(١) التحرير والتنوير (١٩٧/٢) ٠

ومن العادات الاجتماعية والأعراف العربية التي ذكرها القرآن الكريم جعلهم البحيرة والوصيلة والسائبة والحام وصحح معتقدهم في ذلك فقال تعالى: چ ئۇ ئۆ ئې ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [المائدة : ١٠٣]، فكيف يقف المفسر أمام هذه الآية دون أن يعرف الخلفية الاجتماعية لها ودون أن يعي عادات العرب في تعاملهم مع هذه الأشياء: البحيرة والوصيلة والسائبة والحام.

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب قال: "البحيرة التي يمنع وردها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: رأيت عمر بن عامر الخزاعي يجر قصبة في النار كان أول من سيب السوائب، والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثنى بأنثى وكانوا يسيبونهم لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأنثى ليس بينهما ذكروا الحام فحل يضرب الضراب المعدودة فإن أكمل ضرا به ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي" (١) ٠

ولولا وقوف المفسر على هذه العادات والتقاليد العربية التي نزل فيها القرآن الكريم لما فهم الفهم المطلوب.

وقد عني بجمع عادات العرب وتقاليدهم كثير من العلماء وتوجهت همتهم إلى تسجيل وبحث جوانب من حياة العرب الاجتماعية وألفوا فيها كتباً مستقلة، ومن هذه الكتب : الميسر والقداح لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وقد حققه الأستاذ محي الدين الخطيب ونشر في القاهرة سنة ١٣٤٢هـ ومنها كتاب: أيمان العرب لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله البصرمي، وقد حققه الأستاذ محي الدين الخطيب كذلك، ومنها كتاب أديان العرب، الأصنام، القداح، الكهان، والجن، وما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام، وأسواق العرب ومعظم هذه الكتب ذكرها ابن النديم في الفهرست، ودراسة هذا الجانب من جوانب الخلفية الاجتماعية التي نزل فيها القرآن الكريم من الأهمية بمكان لإدراك مرامي القرآن الكريم ومقاصده ووسائله فمعالجة هذه الجوانب والعادات ودراسة المفسر لها وإلمامه بها تفتح له أبواباً من الفهم ومدارك متعددة من المعارف التي تمثل شيئاً مهماً ذا بال من الخلفية الاجتماعية التي تعين على فهم القرآن الكريم ومعرفة أخبار العرب، كذلك ما كانت الدراسات

---

(١) صحيح البخاري (١٨٤/٤)، صحيح مسلم (١٤٢٢/٣).

استشراقية تعنى برصد العادات والتقاليد والأخبار والمعارف صغيرها وكبيرها للأمة التي تريد أن تغزوها؛ فإن هذه الدراسات تمثل جانباً من جوانب الشخصية المعنية والتي يراد فهمها، وقد ذكر الطاهر بن عاشور –رحمه الله– شيئاً من ذلك في مقدماته للتفسير وأنكر على من عد معرفة أخبار العرب شيئاً من اللغو فقال:" وأما أخبار العرب فهي من جملة أدبهم وإنما خصصتها بالذكر؛ تنبيهاً لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها؛ لأن القرآن إنما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار لا لأن يتحادث الناس بها في الأسمار فبمعرفة الأخبار يعرف ما أشارت إليه الآيات من دقائق المعاني فنحو قوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [النحل : ٩٢]، وقوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [البروج : ٤]، يتوقف على معرفة أخبار العرب" (١)، فمعرفة أخبار العرب تتيح للمفسر وقارئ القرآن الكريم أن يتصور تلك الحياة الاجتماعية التي نزل القرآن الكريم فيها يخاطب العرب يأمرهم وينهاهم ويرشدهم مقراً لبعض معارفهم وعاداتهم ومقوماً لبعضها الآخر والشيخ محمد عبده وهو يتناول الحديث عن مراتب التفسير يذكر أن أعلى مراتب التفسير لا تتم إلا بأمور ومقومات منها: (معرفة المفسر بما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم؛ لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال وأن النبي ﷺ بعث لهدا يتهم وإسعادهم وكيف يفهم المفسر ما قيمته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفاً بأحوالهم وما كانوا عليه؟ هل يكتفي من دعاة الدين والمناضلين عنه بالتقليد بأن يقولوا– تقليداً لغيرهم: إن الناس كانوا على باطل وإن القرآن دحض أباطيلهم في الجملة... كلا... لقد روي عن عمر– رضي الله عنه – أنه قال:" إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية والمراد من أنه نشأ في الإسلام ولم يعرف حال الناس قبله يجهل تأثير هدايته وعناية الله بجعله مغيراً لأحوال البشر ومخرجاً لهم من الظلمات إلى النور ومن جهل هذا يظن أن الإسلام أمر عادي"(٢)، فلا يتم فهم عظمة هذا الدين ولا يفهم كتابه المبين إلا بهذه

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/١)

(٢) لم أقف على تخريج لهذا الأثر في مظانه الحديثية، وهو في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٢٦٣/١)، وكذلك في : مفتاح دار السعادة (٢٩٥/١)، مناهل العرفان (٥٤/٢) ٠

الخلفية الاجتماعية التي تعطي للمفسر تصوراً صادقاً عن حال الناس وعاداتهم وطبائعهم وقت نزول القرآن وسحب هذه الخلفية إلى العصور الأخرى والشرائع التالية؛ حتى يكون الفهم فهماً سديداً بعيداً عن الانحراف أو الخطأ.

بل إن من أدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة : معرفة عادات العرب.

المبحث الأول

أهمية الإلمام بعادات العرب في الجاهلية

من الأهمية بمكان لكل باحث على وجه العموم، وهذه المعرفة تزداد أهميتها بالنسبة للمفسِّر؛ إذ عليه أن يكون ملمَّاً بعادات العرب في الجاهلية،مطلعاً على أقوالهم،متعرفاً على أفعالهم، واقفاً على حياتهم الاجتماعية وأيامهم وحروبهم وتاريخهم وأديانهم، إدراكاً لنعمة الله بهذا الدين، وحذراً فيما نهى عنه الشرع القويم..

ويؤكد هذه الأهمية الإمام الشاطبي . في معرض حديثه عن معرفة أسباب النزول . فيقول: " معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل،وإن لم يكن ثمَّ سبب خاص لابد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه،وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة"(١).

إضافة إلى ما ذكر فإن معرفة عادات العرب وأحوالهم عند نزول القرآن من مرجحات دفع التعارض بين النصوص.

قال الزركشي :"(في مرجحات التعارض) الثاني:أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل مكة، والآخر على غالب أحوال أهل المدينة فيقدم الحكم بالخبر الذي فيه أحوال أهل المدينة كقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [آل عمران:٩٧]، مع قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [البقرة:١٧٨] " (٢) . فحكم أهل مكة سلامة القاتل إذا دخل حرم مكة تعظيماً لأمر الحرم،أما بعد نزول آية القصاص المدنية فيقتل القاتل ولو تعلق بأستار الكعبة.

ويقول د/ محمد الزرقاني أثناء حديثه عن العلوم التي يحتاجها المفسر، وفي معرض نقله أقوال محمد عبده، قال : "ثالثها: علم أحوال البشر فقد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب وبين فيه ما لم يبينه في غيره وبين فيه كثيرا من أحوال الخلق وطبائعه وسننه الإلهية

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة (١٥٤/٤) ٠

(٢) البرهان في علوم القرآن (٤٨/٢) ٠

في البشر وقص علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسنته فيها فلا بد للنظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم ومناشىء اختلاف أحوالهم من قوة وضعف وعز وذل وعلم وجهل وإيمان وكفر ومن العلم بأحوال العالم الكبير علويه وسفليه ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه.

أجمل القرآن الكلام عن الأمم وعن السنن الإلهية وعن آياته في السموات والأرض وفي الآفاق والأنفس وهو إجمال صادر عمن أحاط بكل شيء علما وأمرنا بالنظر والتفكر والسير في الأرض لنفهم إجماله بالتفصيل الذي يزيدنا ارتقاء وكمالا ولو اكتفينا من علم الكون بنظرة في ظاهره لكنا كمن يعتبر الكتاب بلون جلده لا بما حواه من علم وحكمة. ورابعها: العلم يوجه هداية البشر كلهم القرآن فيجب على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائي أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال وأن النبي ﷺ بعث به لهدايتهم وإسعادهم وكيف يفهم المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم وما كانوا عليه.. يروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال إن أجهل الناس بأحوال الجاهلية هو الذي يخشى ان ينقض عرى الإسلام عروة عروة اهـ بالمعنى والمراد أن من نشأ في الإسلام ولم يعرف حال الناس قبله يجهل تأثير هدايته وعناية الله بجعله مغيرا لأحوال البشر ومخرجا لهم من الظلمات إلى النور (١)

ويقول د/ محمد الصباغ : " من الأمور المهمة في أصول التفسير أن نقرر أن على المفسر أن يكون ملماً بعادات العرب في الجاهلية واقفاً على حياتهم الاجتماعية، مطلعاً على أيامهم وحروبهم وتاريخهم وأديانهم ذلك لأننا نجد في الكتاب الكريم آيات تتعرض إلى بعض أمورهم، فإذا لم يكن المفسر واقفاً على ما ذكرنا لم يستطع أن يفهم معاني الآيات ولا أن يتذوقها ولا أن ينفذ إلى مغازيها ولم يدرك الأثر العظيم الذي حققه كتاب الله في تغيير حياة العرب وإبطال الفاسد من عاداتهم وصياغتهم صياغة جديدة جعلتهم قادة الدنيا وسادة العالم" (٢)، وقال به د/ علي العبيد (٣)

---

(١) مناهل العرفان (٢/٥٣-٥٤)

(٢) بحوث في أصول التفسير د/ محمد الصباغ، ص:١٨٧ ٠

(٣) تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه د/علي العبيد، ص:٩٧ ٠

ومن هنا فإن معرفة عادات العرب في الجاهلية له أثره البيّن في تفسير كلام الله – عز وجل – وأن هناك آيات جاءت في القرآن الكريم تتحدث عن أمور الجاهلية تارة بالتصريح وتارة بالتلميح، ولا يدرك تفسير هذا الأخير منهما إلا بمعرفة عادات العرب في الجاهلية.

المبحث الثاني

تعــريف العـادات

المطلب الأول

تعريف العادات

في اللغة :

– يقول ابن فارس:" العين والواو والدال أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما:على تثنيةٍ في الأمر، والآخر جنس من الخشب ...والعادة:الدُّربة والتمادي في شيء حتى يصير له سجية، ويقال للمواظب على الشيء :المعاود" (١) ٠

– وقال الجوهري : "تقول عاده واعتاده وتعوده، أي : صار عادة له " (٢) ٠

–وقال الراغب :" العَوْدُ:الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافاً بالذات،أو بالقول والعزيمة، قال تعالى: **چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ چ** [المؤمنون : ١٠٧] . والعادة اسم لتكرير الفعل والانفعال، حتى يصير ذلك سهلاً تعاطيه كالطبع، ولذلك قيل:العادة طبيعة ثانية" (٣).

–وقال ابن منظور :" العادة الديدن يعاد إليه"(٤).

– يقول أحمد فهمي أبو سنة :" إن العادة مأخوذة من العود أو المعاودة، بمعنى التكرار والدأب والاستمرار"(٥) ٠

– هذه التعاريف اللغوية قريبة المعنى، وهي تشير إلى أمر، وهو : أن العادة أمر يثنى ويكرر مرة بعد مرة حتى تصير سجية لصاحبها ٠

إذاً العادات : جمعٌ لكلمة عادة، وهي من الفعل تعوّد يتعوّد تعويداً، ومعنى هذه الكلمة

---

(١) مقاييس اللغة (٤ / ١٨١)

(٢) الصحاح (٢ / ٤٤٨)

(٣) المفردات، ص : ٥٩٣ .

(٤) لسان العرب (٩ / ٤٥٩)

(٥) العرف والعادة في رأي الفقهاء، ص : ١٠ ٠

ومفهومها الدارج هو تلك الأشياء التي درج الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها، وتكرَّرَ عملها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً ومأنوساً، وهي نمطٌ من السلوك أو التصرُّف يُعتادُ حتى يُفعل تكراراً، ولا يجد المرء غرابة في هذه الأشياء لرؤيته لها مرات متعددة في مجتمعه وفي البيئة التي يعيش فيها.

أمّا في الاصطلاح :

قبل أن نعرف بالعادات اصطلاحاً، لا بد من معرفة أن العادات على نوعين :

إما عادات فردية، أو: عادات جماعية، والذي يعنينا في هذا البحث هو العادات الجماعية، ولذا فإن

تعريف العادة في الاصطلاح :

– يقول الجرجاني :" العادة: ما استمر الناس عليه على حكم المعقول،وعادوا إليه مرَّة بعد أخرى " (١).

– وأوضح منه من عرَّفها بـ"السلوك المتكرر الذي تمارسه جماعة من الناس" (٢) .

– ويقول أحمد فهمي : " لقد اختلف الفقهاء والأصوليون في تعريف العادة اصطلاحاً، فذكر بعضهم أنها : الأمور المتكررة من غير علاقة عقلية، وعرفها بعضهم بأنها : غلبة معنى من المعاني على جميع البلاد أو بعضها.

–وعرفها بعضهم بأنها : تكرار الشيء وعوده مرة بعد أخرى تكرارا كثيراً يخرج عن كونه واقعاً بطريق الصدفة والاتفاق " (٣) ٠

وفي اللسان وتاج العروس في مادة : (ع و د) (٤) : أنشد ابن الأعرابي :

لم تَزَلْ تِلْكَ عادَةَ اللهِ عِنْدي والفَتى آلِفٌ لِما يَسْتَعِيدُ

---

(١) التعريفات : ص ١٠٤ ٠

(٢) عادات أهل الجاهلية، دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم، رسالة ما جستير، للباحث : ناصر الماجد، ص : ١٤ ٠

(٣) العرف والعادة في رأي الفقهاء، ص : ١٠، وما بعدها ٠

(٤) لسان العرب (٣ / ٣١٧)، وتاج العروس (٨ / ٤٤٣) ٠

وقال :

تَعَوَّدْ صالِحَ الأَخْلاقِ إِني رأَيتُ المَرْءَ يَأْلَفُ ما اسْتَعادا

واختلف المختصون في مجال علم النفس في وضع تعريف واضح لمفهوم العادات، فيرى توني هوب أن (العادات عبارة عن أنظمة تلقائية للسلوك، والتي تتكرر بطريقة منتظمة بلا تفكير، وهي مقيدة في معظمها، وبدونها لن تكون قادرًا على أداء الأعمال بصورة تقترب من مثل هذا الاقتدار التي تتم به) (١) .

ويركز ستيفن كوفي في وصفه للعادات على تأثيرها الهائل فيقول: (العادات لها قوة جذب هائلة أكبر كثيرًا مما يتوقعه أو يقر به معظم الناس) .

فالعادات إذًا مثل الرداء الذي يرتديه الإنسان، فكما أن الثياب تبين مظهرنا فتلك العادات تمثل شخصياتنا وسلوكنا، (وإن جميع عادتنا هي مكتسبة مثل الحال مع ثيابنا، فنحن لا نولد بأي منها، بلنتعلمها مثل ما نتعلم مواقفنا، وهي تتطور عبر الزمن وتتعزَّز عن طريق التكرار) (٢)

وتُشير الكثير من الإحصائيات أن العادات تُشكِّل أكثر من ٩٥% من سلوكنا، الأمر الذي قد يندهش منه الكثيرون خاصة وقد ترسخ لديهم أنهم يولدون بعاداتهم، ولكن الحقيقة كما صاغها جون درايدن قبل ما يزيد عن ثلاثمائة سنة: (نحن نصنع عادتنا في البداية، ثم تصنعنا عادتنا) (٣)

فالعادة إذن هي ما تكرر فعله حتى أصبح ديدناً، وألفته الأبصار لكثرة مشاهدته في حياة الناس اليومية.

والعرب يكرهون إنشاء العادات الجديدة خشية على عاداتهم المتوارثة، وخوفاً أن يكون في هذه العادات الجديدة ما يُفقد مجتمعهم بعض المواصفات الكريمة التي يفضلون بقاءها حية فيه، ويقولون في ذلك :" ابْطِلْ عَادة ولا تُنْشِيء عَادة "، والمعنى مفهوم من ذلك.

قال الشافعي : "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان

---

(١) الدروس الكبرى للحياة، لـ(هال إيربال)، ص: ١٣٢ .

(٢) العادات السبع لناس الأكثر فعالية، لـ(ستيفن كوفي)، (١٢٤/٢) .

(٣) العادات السبع للناس الأكثر فعالية، لستيفن كوفي، ص : ١٣٢ .

أرسطاطاليس(١) "(٢)، قال السيوطي : (ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب، ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال، لا على مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح، وقد قال تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [إبراهيم: ٤]، فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره، وخرج عن الوارد من نصوص الشرع، جهل وضل ولم يصب القصد " (٣) ٠

وقد عقّب السيوطي على قول الشافعي قائلاً :" وجدت السلف قبل الشافعي أشاروا إلى ما أشار إليه من أن سبب الابتداع، الجهل بلسان العرب " (٤) ٠

وقال الشاطبي :"ليس المقصود من اشتراط معرفة المفسر بالعربية الاقتصار على معرفة أبرز قضايا النحو والصرف والبلاغة والاشتقاق فقط،بل ويدخل فيها أيضاً معرفة : عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل٠٠وإلا وقع المفسر في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة "(٥) ٠

-ومن هنا فإن المقصود بعادات العرب : ما سار عليه العرب واعتادوه من قول أو فعل أو ترك أو اعتقاد استناداً إلى عاداتهم وعُرفهم وتقاليدهم وأفكارهم ومعتقداتهم وأساليبهم في الخطاب والبيان.

---

(١) أرسطاطاليس : من الحكماء، ومن مؤلفي كتب المنطق ٠ انظر : مفاتيح العلوم (١/١٦٧)، الكليات(١/٧١٩)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم(١/١٧٦)، تاج العروس(٢٩/٤٧٣) ٠

(٢) المفردات في غريب القرآن(١/٣٤) ٠

(٣) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ص:١٥، المفردات في غريب القرآن (١/٣٤) ٠

(٤) المفردات في غريب القرآن (١/٣٥) ٠

(٥) الموافقات، ص: ٢١٣ ٠

المطلب الثاني

العلاقة بين العادة والعرف

يعتبر الأصوليون أن من المصطلحات المتصلة بالعادة اتصالاً وثيقاً، العرف، وهو : ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول، ويدخل في هذا التعريف (العادة) على أنهما مترادفان، وقيل : العادة أعم، لأنها تثبت بمرة، وتكون لفرد أو أفراد ٠

إذاً العرف والعادة لفظان بمعنى واحد، من حيث ما يدل عليه لفظهما اصطلاحاً ويصدقان عليه، وهو العادة المعروفة، وفرق بعضهم بين العرف والعادة، بأن العادة هي العرف العملي، بينما المراد بالعرف هو العرف القولي ٠

وفرق بعض العلماء المحدثين بين مدلولي العرف والعادة، فأطلق العادة على ما يشتمل عادة الفرد والمجتمع، وخص العرف بعادة الجماعة، حيث عرفه بأنه : (عادة جمهور قوم في قول أو عمل)، إذاً بينهما عموم وخصوص مطلق، وبعضهم يسوي بينمها، في حين يجعل آخرون أحدهما أعم من الآخر على خلاف وتفصيل بين الأصوليين (١) ٠

---

(١) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د/محمد صدقي، ص : ٢٤٧ – ٢٧٥ ٠

المطلب الثالث

أقسام العادات

قسّم الإمام الشاطبي، العادة إلى قسمين :

١ –العوائد الشرعية :

وهي التي أقرها الدليل الشرعي أو نفاها، كالتطهر من النجاسات، وستر العورة في الصلاة، فإنها من جملة الأمور الداخلة تحت أحكام الشرع، فلا تبديل لها وإن اختلفت آراء المكلفين فيها أو تغيرت عاداتهم بشأنها ٠

٢ –العوائد الجارية :

وهي التي بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي، وينقسم إلى قسمين:

أ– العادة الثابتة : التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، كالكلام والمشي والنظر، .....

ب– العادة المتبدلة أو (المؤقتة) : التي تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، ويكون سبب تبدلها إما لأمر طبيعي، كاختلاف الأقطار حرارة وبرودة، حيث بسببها تختلف العادة في إسراع البلوغ وإبطائه، ومدة الحيض ٠٠٠ ٠ وإما للأقوال، كاختلاف الألفاظ واللهجات في العلوم والصناعات ٠٠٠ ٠وإما للأفعال، كعادة البيع والتقسيط ٠٠٠ ٠ وإما للأوصاف، من حسن إلى قبح، والعكس، ككشف الرأس للرجال يعد قبيحاً في بعض الأماكن، ومستحسناً في غيرها (١)

والحق أن تغير الأحكام بتغير الزمان من سنة الله تعالى في الخلق ٠

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة (٢ / ٢٨٣) وما بعدها ٠

المطلب الرابع

من قواعد العادة

تحكم العادة عدة قواعد استنبطها العلماء، تأتي على رأسها قاعدة كلية هي(العادة محكمة)، وتتفرع عنها قواعد أخرى،ويقصد بقاعدة(العادة محكمة)أن العادة فإنها تجعل حكماً لإثبات حكم شرعي سواء كانت عادة عامة أوخاصة إذا اطردت ولم يوجد التصريح بخلافها،ولم تخالف نصاً شرعياً أو شرطاً لأحد المتعاقدين (١) ٠

وأصل هذه القاعدة قول ابن مسعود – رضي الله عنه – : (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح) (٢)، ثم إذا لم يرد نص يشملها فلا كلام في اعتبارها ٠

–من القواعد الفرعية (الممتنع عادة كالممتنع حقيقة)، فكما أن الممتنع حقيقة لا تسمع الدعوى به ولا تقام البينة عليه للتيقن بكذب مدعيه، كادعاء شخص على آخر يصغره بسنوات قليلة بأنه ابنه، فكذلك الممتنع عادة، كدعوى شخص معروف بالفقر على آخر أموالاً كثيرة، لم يُعهد أنه أصاب مثلها بإرث أو بغيره ٠

–ومن القواعد، قاعدة (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان)، الأقدمون يرون أن الدائن ليس له استيفاء دينه من مال المدين حال غيبته إلا إذا كان من جنس حقه، ثم لما كثر عقوق الناس وإنكارهم للحقوق وتهربهم من أدائها أجاز الفقهاء للدائن استيفاء دينه ولو من غير جنس حقه ٠

–ومن القواعد أيضاً (استعمال الناس حجة يجب العمل بها) و (الحقيقة تترك بدلالة العادة) (٣)

---

(١) موسوعة القواعد الفقهية، د/ محمد صدقي (٣٣٨/٧) ٠

(٢) كنز العمال، برقم : ٣٥٥٩٠، هذا الحديث وإن كان موقوفاً إلا أن له حكم المرفوع، لأنه لا مدخل للرأي فيه ٠

(٣) شرح القواعد الفقهية، للزرقا، ص : ٢١٩، وما بعدها ٠

المبحث الثالث

تعــريف الجاهلـــية

تمهيد:

يوصف المجتمع الذي سبق البعثة بالجاهلية وهو وصف وارد في القرآن على بعض الجوانب في ذلك المجتمع، فهو وصف نسبي ينطبق على الجانب العقدي وما يرتبط به وبعض العادات الاجتماعية ولا تصح هذه التسمية من الناحية الثقافية، فلم يكن مجتمع ما قبل البعثة كما تصوره الكثير من المصادر مجتمعاً معزولاً عن العالم أو لا يعرف من العلوم شيئاً بل العكس، إذ كان لدى العرب أدب ولغة في غاية التطور، وكانت لديهم معارف بالأنساب والتاريخ والفلك، فضلاً عما تقتضيه الحركة التجارية التي كانت سائدة في المنطقة من علم بالاقتصاد والحساب والكتابة، والدلائل كثيرة على إلمام العرب بالقراءة والكتابة وانتشارها بينهم، هذا التقدم الحضري الذي سبق البعثة يذكرنا بالبيئات التي بعث بها الرسل من قبل والتي كانت تتميز بكونها مجتمعات حضرية متقدمة وربما بلغت شأواً في العلم والتقدم المادي، هذا الجانب المادي عندما يطغى على الجانب الأخلاقي يسود الظلم ويصل بالمجتمع إلى مأزق روحي، فيأتي التدخل الإلهي عبر إرسال الأنبياء لتصحيح مسيرة الناس وردهم إلى فطرتهم والإيمان بالله الذي يقتضي العدل وإعارة الجانب الروحي من حياة الإنسان حقه، فالتقدم المادي لا يستلزم رقياً دينياً أو روحياً بل ربما كان عائقاً أمام انتشار القيم والمثل التي يحافظ عليها قلة في المجتمع،وهذا ما كان عليه حال المجتمع الذي سبق بعثة الرسول ﷺ.

تعريف الجاهلية في اللغة:

مصدر مشتق من الجهل، وهو نقيض العلم ٠

قال ابن فارس : " جهل : الجيم والهاء واللام أصلان أحدهما خلاف العلم والآخر الخفة وخلاف الطمأنينة، فالأول الجهل نقيض العلم، ويقال للمفازة التي لا علم بها جهل .... " (١)

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١ / ٤٨٩) مادة (جهل)، وانظر:جمهرة اللغة (٢ / ١١٤)،والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٣ / ٣٧٧) ٠

ويقول زين الدين الرازي : "الجَهل :ضدُّ العلم، وقد جَهِلَ من باب فهِمَ وسَلِمَ،وتجاهَلَ أرى من نفسه ذلك وليس به(أي الجهل).واستجهله:عدَّه جاهلاً،واستخفه، أيضاً،والتجهيل:النِّسبة إلى جهل " (١)

- **وفي الاصطلاح :**

"الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ورسوله،وشرائع الدين،والمفاخرة بالأنساب، والكِبر ،والتجبر ،وغير ذلك" (٢) .

وقيل هي "الحالة المخالفة لما أراد الله التي كان عليها الناس قبل مجيء الهدى لهم" (٣)

ومجمل التعاريف تشير إلى : أن الجاهلية حالة كان عليها العرب، وأنها كانت قبيل بعثة النبي ﷺ، وأنها كانت مخالفة لشريعة الله تعالى ٠

وتبين مما سبق أن المقصود بعادات العرب في الجاهلية ما كانت تفعله جماعة من الناس باستمرار وتكرر من غير نكير ،سواء كان لعقيدة أو خلق أو معاملة،وسواء وافقه الإسلام أو عارضه، وسيتضح ذلك . إنشاء الله . من خلال الأمثلة.

ومن هنا يمكن دمج تعريف كل من العادات والجاهلية بتعريف واحد فيقال : سلوك اجتماعي كان عليه العرب قبل بعثة النبي ﷺ .

---

(١) مختار الصحاح، مادة (جهل)، (١ / ٤٩) ٠

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (جهل)، (١ / ٣٢٣)، الكليات للكفوي، ص : ٣٥٠ ٠

(٣) عقائد أهل الجاهلية في ضوء القرآن الكريم، وموقفه منها، رسالة ماجستير، للباحثة / نهلة بنت محمد الناصر، ص : ١٧ ٠

المبحث الرابع

معالجة القرآن لعادات العرب في الجاهلية

وأثر ذلك في التفسير

يمكن حصر تلك المعالجة لعادات الجاهلية في أقسام ثلاثة :

القسم الأول : الإبطال :

نزل القرآن الكريم بهدم وإبطال كثير من عادات الجاهلية التي تتنافى مع تعاليمه وقيمه، وتنوعت طريقة القرآن في إبطال تلك العادات بين التدرج في الإبطال مراعاة لحال الناس، فمثلاً :

١- **الخمر** : إن شرب الخمر والاجتماع عليها والمباهاة بتعتيقها وغلاء ثمنها، عادة أهل المدن من أغنياء، وكبراء وأدباء شعراء،ولما كانت هذه العادة متأصلة فيهم متمكنة من نفوسهم حرمها الله–تعالى–عليهم بالتدريج شيئاً فشيئاً،وذلك من–رحمة الله تعالى– بعباده فله الحمد وله المنة. وكذلك القمار والمعروف بالميسر،وهذه عادة سكان المدن في الجزيرة كـ(مكة،الطائف، صنعاء، هجر، يثرب، دومة الجندل) وغيرها.وقد حرمه الإسلام، حيث يقول سبحانه : **ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ** [المائدة : ٩٠].

أو الإبطال المباشر لها كوأد البنات، وهي أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حية في التراب خوف العار،وجاء في القرآن الكريم التنديد بهذا العمل وتقبيحه وذلك بذكر توبيخ فاعله يوم القيامة، لقوله تعالى : **ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ** [النحل : ٥٧–٥٩]، وقوله : **ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ** [التكوير : ٨–٩] .

٢- **أكل الربا**. لقوله تعالى : **ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ** [البقرة : ٢٧٥–٢٧٦] .

٣- شن الغارات والحروب على بعضهم بعضاً للسلب والنهب، فالقبيلة القوية تغير على الضعيفة ليسلُبها مالها، إذ لم يكن لهم حكم ولا شرع يرجعون إليه في أغلب الأوقات وفي أكثر البلاد، ومن أشهر حروبهم:حرب داحس والغبراء التي وقعت بين عَبْس من جهة، وذبيان وفزارة من جهة أخرى،وحرب البسوس حتى قيل: أشأم من حرب البسوس التي دامت كذا سنة وكانت بين بكر وتغلب،وحرب بُعاث التي وقعت بين الأوس والخزرج بالمدينة النبوية قبيل الإسلام،وحرب الفِجار التي دارت بين قيس عيلان من جهة وبين كنانة وقريش من جهة مقابله،وسميت حرب الفِجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم.

٤- قوانين الزواج يحث كان الرجل يرث كل ما كان لأبيه، حتى زوجته ينكحها، فحرم الإسلام ذلك، فقال سبحانه : **ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ** [النساء : ٢٢] .

٥- التشاؤم من النكاح في شهر شوال، قالت أم المؤمنين ؛ الصديقة بنت الصديق؛ الطاهرة المبرأة من فوق سبع سماوات ؛ السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها : "تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى بي في شوال" (١)، يُذكر أن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها كانت تستحب أن تُدخل نساءها في شوال.

٦- عبادة الأصنام فقد حارب الإسلام هو أساس عقيدتهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله فقد صعقوا حينما فاجأهم النبي ﷺ بأن الدين الحق هو دين التوحيد وان هذا الكون ليس له إلا إله واحد هو الذي خلق ورزق وهو الجدير بالعبادة، كما قال تعالى : **ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ** [الحج : ٣٠-٣١]، نعم ترك عبادة الأصنام، ثم بيّن القرآن أنها هي حنيفية إبراهيم التي دعا ربه وسأله المداومة عليهـــا، **ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ** [إبراهيم : ٣٥-٣٦]، بل إن إبراهيم لم يكتف بمجرد الأماني حيث قاوم هذه الأصنام بالفعل لا بمجرد القول: **ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ**

(١) صحيح مسلم، كتاب : النكاح، باب : استحباب التزوج والتزويج في شوال واستحباب الدخول فيه، ص:٦٤٢، برقم : ١٤٢٣.

ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ [الأنبياء : ٥٢-٥٨]، وكما فعل الخليل عليه السلام في الدعوة إلى نبذ الأصنام بأمر ربه ووحيه إليه قام أيضا رسول الله ﷺ بأمر ربه ووحيه يعظ قومه ويذكرهم بخالقهم وينعي عليهم عبادة الأصنام : ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ [الرعد: ١٦]، ويقيناً لم يجار الإسلام عرب الجاهلية في عبادتهم للأوثان وجعلها آلهة مع الله تقربهم إليه زلفى – كما كانوا يعتقدون – ٠

٧- أكل الميتات، ذكر الله – عز وجل – شبهتهم في أكل الميتة، فقال : ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ [الأنعام : ١٢١]، أخرج ابن جرير عن ابن عباس – رضي الله عنهما، قال : " يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه، فأنزل الله : ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ " (١)

٨- الدم المسفوح، ذكر ابن كثير طريقة أهل الجاهلية في استخراج الدم إذ يقول في شرح بيت الأعشى:

وإيَّاك والميتات لا تقربنها ... ولا تأْخذن عظمًا حديدا فتفصدا(٢)

أي : لا تفعل فعل الجاهلية، وذلك أن أحدهم كان إذا جاع يأخذ شيئاً محدوداً من عظم ونحوه، فيفصد به بعيره أو حيواناً، من أي صنف كان، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ... . " (٣)، وقال أبو السعود في بيان طريقة الجاهلية في أكل الدم : " كان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونه " (٤)، وفي الحديث الذي رواه أبو أمامة – رضي الله عنه – في خبر بعث النبي ﷺ إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام – الحديث فيه – " فبينما نحن كذلك إذ جاءوا بقصعة واجتمعوا عليها يأكلونها، قالوا هلم يا صُديَّ فكل، قلت :ويحكم إنما

---

(١) تفسير الطبري (٥ : ٣٢٦) ٠

(٢) ذكرها ابن هشام في السيرة (١ / ٣٨٦ – ٣٨٨) في ثلاثة وعشرين بيتاً ٠

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ١١) ٠

(٤) إرشاد العقل السليم (٣ / ٦) ٠

أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم " (١) ٠

وهناك عادات أخرى كثيرة، منها : التمائم، والطيرة، والرقى، وقتل الأطفال من أجل الرزق، ولحم الخنزير، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع ٠

وختاماً حتى لا يطول بنا الكلام نورد موقف سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين عقد للنجاشي موازنة بين موقفهم في الجاهلية وما دعاهم إليه الإسلام فماذا قال ؟ قال:" أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم،وقذف المحصنات،وأمرنا أن نعبد الله وحده،لا نشرك به شيئًا،وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فعدد عليه أمور الإسلام . فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث... ." (٢) ٠

وفي الصحيح عندما سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان عنه ﷺ كان من بين ما سأله عنه أن قال: " ماذا يأمركم ؟ " فقال أبو سفيان: " يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ...." (٣)، ولم يكن أبو سفيان قد أسلم بعد حين قال ذلك ٠

القسم الثاني : الإقرار :

كما أن القرآن الكريم هدم وأبطل الكثير من عادات العرب، فكذلك أقر بعض عاداتهم،

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٨ / ٢٧٩)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩ / ٣٨٧)، المستدرك (٣/ ٧٤٣)، وصححه.

(٢) مسند الإمام أحمد(٣ / ٢٦٦)، صحيح ابن خزيمة (٤ / ١٣)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١ / ١١٥)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦ / ٢٦) ٠

(٣) صحيح البخاري (١ / ٨) ٠

كعادة الخلع مثلاً، وهذا يدل على أن المجتمع الجاهلي لم يكن مجتمعاً معدماً من كل خير بدليل أن النبي ﷺ جاء عنه أنه قال : " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " (١) ٠

١- الصدق والمراد به صدق الحديث وهو خلق كريم عُرف به العرب في الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريراً.

٢- قِرى الضيف وهو إطعامه، وهو من الكرم الذي يحمد صاحبه عليه، ويحمد له ويثنى به عليه فجاءالإسلام بتقريره وتأكيده إذ قال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " (٢) .

٢- الوفاء بالعهود وعدم نكثها ومهما كلفت من ثمن وهو خلق سام شريف جاء الإسلام بتقريره وتأكيده قال تعالى : ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [البقرة :١٧٧] ٠

٣- احترام الجوار وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها، وعدم خفره مهما كانت الأحوال، وفي الحديث: " أجَرْنا منْ أجَرتْ يا أم هانئ" (٣). وأجار المسلمون أبا العاص بن الربيع وهو مشرك حتى دخل المدينة واسترد ودائعه وأمواله وعاد إلى مكة ثم أسلم بعد.

٤- الصبر والتحمل. حتى قالوا : (تجوع الحُرَّة ولا تأكل بثديها)، جاء الإسلام فزاد هذا الخلق قوة ومتانة وفي القرآن : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [آل عمران : ٢٠٠]، وفي المثل : "من صبر ظفر" (٤) .

٥- الشجاعة والنجدة والأنفة وعدم قبول الذل والمهانة وهي خصال امتاز بها العرب نساءً ورجالاً، وفي أشعارهم وأقاصيصهم شواهد ذلك.

وغيرها من العادات الحميدة كاحترام الحرم والأشهر الحرم، ولو كانوا ذوي سوابق في الشر، وتحريمهم نكاح الأمهات والبنات، واغتسالهم من الجنابة،والسواك والاستنجاء، وتقليم

---

(١) موطأ مالك (١٦ / ٢٥٤)، المستدرك (٢ / ٦١٣) وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ٠

(٢) موطأ الإمام مالك (١ / ٣٣٥)

(٣) مسند الإمام أحمد (٦ / ٤٢٣) ٠

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢٥/٣)، معجم الصواب اللغوي (٥١٥/١) ٠

الأظافر، ونتف الإبط،والختان للأطفال. والخفاف للبنات، وقطعهم يد السارق اليمنى، الحج والعمرة.

فهذه جملة من العادات الحسنة الحميدة التي عُرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام. وإنها وإن لم تكن عامة في كل فرد فإنها الطابع العام على غالبيتهم، وحسبنا من ذلك أن أبا سفيان بن حرب لما حضر عند هرقل ملك الروم بالشام وسأله عن النبي ﷺ لم يكتمه شيئاً مم سأله عنه، مع العلم بأنه مازال مشركاً وفي حرب مع الإسلام والمسلمين حبذا أن نتعلم من خلق العرب وخاصة بعد أن أعزنا الله بالإسلام ٠

القسم الثالث : التهذيب

وكما سبق أن القرآن الكريم أبطل وأقر عادات الجاهلية، فكذلك هذب البعض منها، بإزالة كل ما يخالف سمات الشرع، كعادة تعدد الزوجات مثلاً، فكان في الجاهلية الزواج مطلق وجاء الإسلام وقيده بأربع زوجات ٠

١- العصبية القبلية، وهي مبدأ : "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" فجاء الإسلام فأمر بنصرة المسلم قريباً كان أو بعيداً،إذ الأخوة المعتبرة هنا هي أخوة الإسلام،ونصرته إذا كان مظلوماً بدفع الظلم عنه، ونصرته إذا كان ظالماً بمنعه من الظلم وحجزه عنه،كما قال رسول الله ﷺ: " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، فقيل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً: فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال : تحجزه عن الظلم" (١)

من أجل ذلك، فإن التعصب النَّسَبي أمر لا مسوّغ له البتة. ولعل قصة عبدالله بن حُذَافة السَّهْمي – وهو من قريش – خير دليل على بطلان مسألة الاعتداد بالنسب؛ وقد كان من أمره أن الرسول ﷺ قال: "سَلُونِي عَمَّا شِئْتُم)، فقال رجل: مَنْ أبي؟ قال:(أَبُوكَ حُذَافَةُ)، فقام آخر، فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال:(أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ). فلما رأى عمرُ ما في وجه رسول الله ﷺ من الغضب، قال: يا رسول الله، إنا نتوب إلى الله عز وجل، وقد قالت أم عبدالله ابن حذافة:(ما سمعت بابن قطُّ أعقَّ منك؛ أأمنتَ أن تكون أمُّك قد قارفَتْ بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية؛ فتفضحَها على أعين الناس؟!" (٢) ٠

---

(١) صحيح البخاري (٣ / ١٢٨)

(٢) صحيح مسلم (٤ / ١٨٣٤) ٠

فقد برّأ رسول الله ﷺ أم عبدالله، لكنها مع ذلك وصفت ابنها بالعقوق ؛ لما كانت تعرفه عن مجتمع الجاهلية، مما كان يقع فيه الناس من مقارفة الفواحش ؛ علماً أن بعضها كان مباحاً عندهم ولا يعد عيباً في عرفهم ٠

الصدق، والمراد به صدق الحديث وهو خلق كريم عُرف به العرب في الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريراً وتمتيناً، وقد ذكرت ذلك في القسم الثاني ٠

٢- قرى الضيف وهو إطعامه، وقد بينت هذا في القسم الثاني ٠

٣- الوفاء بالعهود وعدم نكثها، مهما كلفت من ثمن وهو خلق سام وشريف، جاء الإسلام بتقريره وتأكيده، وقد تحدثت عنه في القسم الثاني ٠

٤- احترام الجوار وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها، وعدم خفره مهما كانت الأحوال، وقد تحدثت عنه أيضاً في القسم الثاني ٠

٥- الصبر والتحمل، وهذا أيضاً تحدثت عنه في القسم الثاني ٠

٦- الشجاعة والنجدة والأنفة وعدم قبول الذل والمهانة، وهي خصال امتاز بها العرب نساءً ورجالاً، ذكرت هذا في القسم الثاني.

وبعد الحديث عن موقف القرآن الكريم من عادات الجاهلية فإنه لا بد من القول : أنه لا يمكن تجاهل أثر معرفة عادات الجاهلية في توضيح كلام الله تعالى، وهي غير قليلة في كتاب الله – عز وجل –، ولقد حُصرت العادات فقط دون العقائد بإحدى وستين مسألة، أشارات إليها نحو ثمانين آية عدا الآيات الأخرى التي تبين عن موقف القرآن الشامل نحوها، وإذا كانت بهذا العدد الكبير فلا يتأتى فهم كلام الله – عز وجل– إلا بمعرفة عادات ما كانوا عليه أولئك القوم ٠

ولعلنا نضرب أمثلة توضح أثر تلك العادات في توضيح كلام الله – عز وجل – :

* قوله تعالى : چ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ چ [البقرة : ١٩٦]، فإنما أمر بالإتمام دون الأمر بأصل الحج، لأنهم كانوا قبل الإسلام آخذين به، لكن على تغيير بعض الشعائر، ونقص جملة منها ؛ كالوقوف بعرفة وأشباه ذلك مما

غيروا، فجاء الأمر بالإتمام لذلك، وإنما جاء إيجاب الحج نصاً في قوله تعالى : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې چ [آل عمران : ٩٧]، إذا عُرف هذا ؛ تبين هل في الآية دليل على إيجاب الحج أو إيجاب العمرة، أم لا ؟ ٠

* قوله تعالى : چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ [النحل : ٥٠]، وقوله تعالى : چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ [الملك : ١٦]، وأشباه ذلك، إنما جرى على معتادهم في اتخاذ الآلهة في الأرض، وإن كانوا مقرين بإلهية الواحد الأحد الحق، فجاءت الآيات بتعيين الفوقية وتخصيصه تنبيهاً على نفي ما ادعوه في الأرض ؛ فلا يكون فيه دليل على إثبات جهة ألبتة، ولذلك قال تعالى : چ ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ چ [النحل : ٢٦]، فتأمله رحمك الله، واجر على هذا المجرى في سائر الآيات والأحاديث ٠

* قوله تعالى : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ [النجم : ٤٩]، فعيّن هذا الكوكب لكون العرب عبدته، وهم خزاعة، ابتدع ذلك لهم أبو كبشة، ولم تعبد العرب من الكواكب غيرها ؛ فلذلك عينت (١) ٠

وغير ذلك من الأمثلة..

وفي ختام البحث أقول : إن الاستئناس بعادات العرب في التفسير منهج سار عليه كبار المفسرين من الصحابة الكرام، بل حثوا الناس على اعتمادها دليلاً على صحة ما يدعون الناس إليه من مراعاة لها في الخطاب وغيره، فهذا ابن مسعود – رضي الله عنه – في تفسير قوله تعالى : چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ [المطففين : ٢٦]، قال : (أليس بالخاتم الذي يختم، أما سمعتم المرأة من نسائكم تقول : طِيبُ كذا وكذا خِلطة مسك ؟) (٢)

كما سلك تلاميذهم من كبار مفسري التابعين المنهج ذاته، فهذا قتادة – رحمه الله – يفسر قول الله تعالى : چ ڃ ڃ ڃ ڄ چ [القارعة : ٩]، قال :"هي كلمة عربية إذا وقع رجل

---

(١) الموافقات (٤ / ١٥٤)

(٢) تفسير الطبري (٢٩٥/٢٤)، تفسير البغوي (٢٢٥/٥)، زاد المسير(٤١٤/٤)، تفسير القرطبي(٢٦٤/١٩)، تفسير ابن كثير(٣٥١/٨) ٠

في أمر شديد قالوا : هويت أمه "(١) ٠

ولضرورة الاستئناس عند التفسير بعادات العرب، عدَّ ابن العربي التفسير بما لم يعهده العرب تلاعباً بالدين، فردَّ على الذين يبيحون قصر الصلاة وأكل الصائم لمجرد مطلق الخروج من محل الإقامة – بدون تحديد مسافة – مخالفين مقصود العرب بكلمة (سفر)، قال : " تلاعب قوم بالدين ؛ فقالوا : إن من خرج من البلد إلى ظاهره قصر الصلاة وأكل، وقائل هذا أعجمي لا يعرف السفر عند العرب، أو مستخف بالدين ؛ ولولا أن العلماء ذكروه ما رضيت أن ألمحه بمؤخر عيني، ولا أن أفكر فيه بفضول قلبي " (٢) ٠

بهذا يتبين أن من أبرز أصول التفسير وقواعد الترجيح التي التزمها المفسرون لمعرفة الأصح من بين الأقوال في التفسير : حمل كلام الله – تعالى – على المعهود من كلام العرب، سواء أكان استعماله – أي المعهود – مضطرداً لا يتخلف البتة ولا تعرف العرب غيره، أو غالباً لكنه يتخلف أحياناً قليلة ٠

---

(١) تفسير الطبري (٥٧٣/٢٤)، تفسير البغوي (٢٩٧/٥)، تفسير القرطبي (١٦٦/٢٠) ٠

(٢) أحكام القرآن لابن العربي(٦١٥/١)، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (٥١٨/١) ٠

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والتي من أهمها نعمة الإسلام والإيمان، ونعمة العلم، وأنعم بها من نعمة، ما أجمل أن نتدارس كلام الله – عز وجل – مدارسة تدبر وتأمل، عن علم وبصيرة نافذة، بعيداً عن الهوى، وأيم الله إنها لنعمة عظمى، ومنّة كبرى، يمتنّ الله بها على من يشاء من عباده، رحمة بهم وتوفيقاً وتسديداً ٠

بعد رحلة قرآنية مع هذا البحث المتواضع، أستطيع أن أخرج ببعض النتائج الآتية :

١- بيان أن أمة الإسلام أمة مرحومة، لأن الله – عز وجل – هو الذي يسددها وينقيها وينبهها ويلهمها الرشد والصواب ٠

٢- معرفة أن مدار صلاح الكون منوط بصلاح المسلمين، وهذه حقيقة ٠

٣- أن دراسة هذا الموضوع تجدد الأمل فينا بأننا نستطيع – بفضل الله وتوفيقه – الثبات على مبادىء ديننا، وتهذيب ما يجب تهذيبه مما اعترى حياتنا، وعاداتنا، وإبطال كل دخيل مدسوس على عقيدتنا أو عباداتنا أو معاملاتنا أو أخلاقنا ٠

٤- بيان أن العادة تبدأ بخاطرة، وتتوسط بعمل، وتنتهي بعادة وديدن، فإن كانت هذه العادة طيبة فنعم المقدمات لأفضل النتائج، وإن كانت الأخرى فلا نلوم إلا أنفسنا ٠

٥- أضاف البحث دليلاً جديداً على وسطية الإسلام واعتداله، حيث لم يقف من كل العادات موقفاً واحداً، بل أقر وهذّب وأبطل، كلاً بحسبه، وذلك عين العدل والإنصاف ٠

٦- أن دراسة هذا الموضوع أبانت عن مدى حاجة المفسر لمعرفة عادات العرب إذ بمعرفتها يسترشد المفسر ويسدد ٠

٧- العادة هوية المجتمعات، ومن هنا يجب أن تصان العادات الطيبة عن العبث أو الإضرار بها ٠

٨- كشف البحث عن عادات عقدية واجتماعية واقتصادية وثقافية، حظيت كلها بعناية القرآن.

٩- البحث رد على الأدعياء في أمور عدة، منها : موضوع عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وموضوع المرأة ٠ وغيرها.

أما أهم التوصيات :

١- التأكيد على أهمية تلك العادات،والتي تمثل حيزاً كبيراً في ديننا ومجتمعنا وثقافتنا، والحفاظ على الطيب منها ٠

٢- عمل موسوعة للعادات العربية في ظل القرآن الكريم، للإفادة منها في حاضرنا ٠

هذا والله اسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه صواباً، والحمد لله رب العالمين ٠

المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً :

١. أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م ٠

٢. بحوث في أصول التفسير ؛للدكتور محمد بن لطفي الصباغ، ط١، بيروت:المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ ٠

٣. البرهان في علوم القرآن ؛للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م٠

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، (د.ط)، (د.م)،دار الهداية، (د.ت) ٠

٥. التحرير والتنوير(تفسير ابن عاشور)، لمحمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي،(د.ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ ٠

٦. التعريفات ؛ لعلي بن محمد بن علي، الجرجاني الحنفي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٧. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت) ٠

٨. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م٠

٩. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، المدينة :دار طيبة للنشر والتوزيع،

١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ٠
١٠. تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه ؛للدكتور علي بن سليمان العبيد.ط١، الرياض: مكتبة التوبة،١٤١٨هـ – ١٩٩٨م٠
١١. جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١،(د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ٠
١٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي، تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م٠
١٣. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م ٠
١٤. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي؛للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عون، ط ٣، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م٠
١٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، (د.ط)، مصر :السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م٠
١٦. الدروس الكبرى للحياة، لهال إيربان، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت) ٠
١٧. ذيل طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق : د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م ٠
١٨. روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي،ط٣، دمشق: مكتبة الغزالي، بيروت: مؤسسة مناهل العرفان، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م٠
١٩. زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي)، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق:عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ ٠
٢٠. شرح القواعد الفقهية، لأحمد بن الشيخ محمد الزرقا، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد

الزرقا، ط٢، دمشق: دار القلم، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ٠
٢١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ – ١٩٩٣ ٠
٢٢. صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، (د.ط)، بيروت: المكتب الإسلامي، (د.ت) ٠
٢٣. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، (د.م)، دار طوق النجاة بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ ٠
٢٤. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن حجاج القشيري، ط١، الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ٠
٢٥. العادات السبع للناس الأكثر فعالية، لستيفن كوفي، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)
٢٦. عادات أهل الجاهلية . دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم . الماجد، ناصر بن محمد بن عبد الله ٠ رسالة ماجستير، السعودية : كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤١٩هـ.
٢٧. العرف والعادة في رأي الفقهاء، لأحمد فهمي أبو سنة، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)
٢٨. عقائد أهل الجاهلية في ضوء القرآن الكريم وموقفه منها، الناصر، نهلة بنت محمد ٠ رسالة ماجستير،السعودية : كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٢٠هـ .
٢٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي،المحقق: عدنان درويش – محمد المصري،(د.ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (د.ت)
٣٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، ط٥، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ–١٩٨١م ٠
٣١. لسان العرب ؛لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، بيروت : دار صادر، (د.ت)٠
٣٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، (د.ط)، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م
٣٣. المحيط في اللغة، لإسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور

بالصاحب بن عباد، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)
٣٤. مختار الصحاح ؛ لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، ط١، بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ =١٩٩٥م.
٣٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ط١، لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ٠
٣٦. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت :دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م
٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١،(د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢ هـ – ٢٠٠١ م ٠
٣٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ
٣٩. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د٠ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، ، ط١، القاهرة :عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ٠
٤٠. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، القاهرة :مكتبة ابن تيمية، (د.ت) ٠
٤١. معجم مقاييس اللغة ؛لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون،(د.ط)،، بيروت :دار الجيل، (د.ت) ٠
٤٢. مفاتيح العلوم، لمحمد بن أحمد بن يوسف، البلخي الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري ط٢،(د.م)، دار الكتاب العربي، (د.ت) ٠
٤٣. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (د.ط)، بيروت :دار الكتب العلمية، (د.ت) ٠
٤٤. مفردات ألفاظ القرآن ؛ للراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، ط٢، دمشق : دار القلم، بيروت : الدار الشامية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٤٥. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي،ط١، دمشق بيروت :دار القلم، الدار الشامية ، ١٤١٢ هـ

٠
٤٦. مناهل العرفان في علوم القرآن،لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ط٣، (د.م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت) ٠
٤٧. الموافقات في أصول الشريعة ؛للإمام الفقيه إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي،أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق محمد الإسكندراني وعدنان درويش،ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٢م٠
٤٨. موسوعة القواعد الفقهية، موسوعة مرتبة ألفبائية، (د.ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ ٠
٤٩. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني،ط١، بيروت :مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.
٥٠. موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، (د.م)، المكتبة العلمية، (د.ت)
٥١. النهاية في غريب الحديث والأثر ؛ للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، (د.ط)، بيروت . لبنان : دار إحياء التراث العربي، (د.ت) ٠
٥٢. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د/ محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، ط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ٠

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

عنوان البحث .....

ملخص البحث .....

المقدمة .....

التمهيد .....

المبحث الأول : أهمية الإلمام بعادات العرب في الجاهلية .....

المبحث الثاني : تعريف العادات .....

المبحث الثالث : تعريف الجاهلية .....

المبحث الرابع : معالجة القرآن لعادات العرب في الجاهلية وأثر ذلك في التفسير .....

الخاتمة .....

المصادر والمراجع .....

الفهرس .....